في مجال الدعوة والدعاة

للأستاذ: عبد الله بن حمد الحقيل

كثيراً ما تواجه الدعوات الإصلاحية بالكثير من العقبات والتحديات التي قد تبدو قسوتها شديدة الوطأة في أحيان كثيرة . . . وتأتي النتائج دوما بقدر ما تحمله الدعوات من عمق وأصالة . . وما واجهته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الاتجاه خير مثل على ذلك حيث الصراع بين الحق والباطل . . خاصة لارتباطها وانطلاقها من ديننا الإسلامي الصحيح . .

وبالرغم مما بذله الكثير من المفكرين في عرض ما واجهته الدعوة السلفية من مصاعب . . وما حققته من انتصارات . . إلا أن قضية معطيات ذلك التصارع لنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة لتعدد أوجه التحديات التي واجهتها فكريا وماديا بل وعسكريا على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية . .

ولا يهمنا في هذا المجال أن نلقي الضوء كثيرا على مفردات الأحداث التي جرت بين تلك العناصر الخارجية ورجال الدعوة في نجد بصورة شاملة على المحيط الإسلامي . . بقدر ما نود استخلاصه من عبر وعظات من مجريات الأحداث وفي مقدمتها أن الإيمان بالمبدأ والثبات على العقيدة من الرواسخ التي تستطيع بها الدعوات الأصيلة أن تنمو وتثمر في نفوس المسلمين . . حيث وجدوا في هذه الدعوة السلفية الصادقة الغذاء الروحي والأخلاقي فكان لها قبول وتأثير في كثير من البلدان وسارت على نهجها حركات إصلاحية وصلحت بها مجتمعات إسلامية . . وما زال الكثير من المسلمين لا يعرفون عن هذه الدعوة غير صورة مشوهة باهتة نتيجة للتضليل والافتراء والكذب من قبل أهل البدع والخرافات ومع ذلك فقد انتشرت وذاع خبرها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي واستجاب لها المنصفون من شتى أنحاء العالم فاستأثرت بقلوبهم فكانوا لها عونا ونصيرا . .

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى العبرة من تلك الأحداث التي واجهت الدعوة والعودة إلى قراءة تاريخنا الإسلامي الناصع . . مرورا بالدعوات الإصلاحية وما نادى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حتى نتآزر ونتعاون في مواجهة الدعوات الإلحادية التي تواجه عالمنا الإسلامي فكريا وماديا لنكون بحق (خير أمة أخرجت للناس) . . ولقد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الكثير من المصلحين .

وسوف نستعرض في هذا البحث بعض المراجع التي تطرقت إلى هذا الموضوع ، فقد أصدرت دارة الملك عبد العزيز كتابا شاملا في هذا الموضوع(١) إلا أن اهتمام أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كان من ضمن اهتمامه دراسة ومعالجة جميع نواحي دعوة الشيخ ، و إلقاء محاضرات وتقديم بحوث خلال هذا الأسبوع ، من أساتذة أجلاء ، بعضهم ينتمي إلى الجهات المعنية التي انتشرت فيها دعوة الشيخ بدرجة أو بأخرى ، مثل بحث الشيخ إسماعيل أحمد (التايلاندي) بعنوان «تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ومثل بحث الأستاذ نجيح عبد الله (الأندونيسي) بعنوان : « تأثر الدعوات الإصلاحية في أندونيسيا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ، وبعضهم و إن لم ينتم إلى نفس البلد الذي قدم بحثه عن انتشار دعوة الشيخ فيه إلا أنه قد عمل به لفترة أتاحت له التعرف بصورة جيدة ، على

هذا البلد وعلى ظروفه، وذلك مثل البحث الذي قدمه الدكتور عبد الحليم عويس وجعل عنوانه: «أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر» ومثل بحث الأستاذ عبد الفتاح الغنيمي الذي جعل عنوانه« أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب افريقيا» أو يكون مقدم البحث مجيدا للغة البلد الذي جعله موضوع بحثه بالنسبة لانتشار دعوة الشيخ وذلك مثل الدكتور محمد السعيد جمال الدين الذي قدم بحثا عنوانه «دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال» أو يكون مقدم البحث قد تخصص في دراسة المنطقة المعنية مثل بحث الدكتور مصطفى مسعد بعنوان «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن نودي الإصلاحية في غرب افريقيا» أو يكون الباحث قد عني بالبحث في انتشار الدعوة عامة مثل الدكتور وهبة الزحيلي وكل هذه البحوث تضمنها كتاب[٢] «بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله — الجزء الثاني» ومن هنا جاء اقتناعنا بأن من الأفيد أن نقتصر في مقامنا هذا على تناول هذه البحوث خاصة لإبراز ما جاء فيها مما نراه جديدا لم تتطرق إليه المراجع الأخرى المتاحة عن هذا الموضوع، أو تكون قد تطرقت إليه ولكن بصورة مقتضبة.

ولنبدأ بما أورده الشيخ إسماعيل أحمد في بحثه: «تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»[٣] و نفهم من هذا البحث أن الدعوة الإصلاحية الإسلامية في جنوب تايلاند قد بدأت حوالي عام ١٣٢٤هـ-١٩٤٣م بقيادة الأستاذ إسماعيل أحمد نفسه في دائرة فاكسفجون التابعة لولاية فتالونج، وذلك بعودة الأستاذ من لكهنو حيث تخرج من كلية الندوة. ويقول إنه ما إن وطئت قدماه تراب موطنه حتى واجه سيلا من الأسئلة الدينية من بعض الأقرباء... وكانوا ينتظرون عودة الأستاذ بفارغ الصبر، وأعدوا المسائل الخلافية ليحسمها الأستاذ.. فرد الأستاذ على أسئلتهم بصراحة وإخلاص مستدلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه السلف، فسر من سر وغضب من غضب.. واتسعت دائرة التأييد كما اشتدت المعارضة وتفننت في الكيد والمكر للأستاذ ولأتباعه المخلصين.. ولم يكتف الأستاذ بإلقاء الخطب لإخوانه المسلمين وإفتائهم بل دعا المسلمين في المنطقة إلى تأسيس مدرسة دينية، فتبرع أهل البلد كل بطاقته المحدودة حيث إنهم صيادون، وافتتح مدرسة أسسها أنصار السنة في عام ١٩٤٥م، كان يديرها ويدرس

محاضرات في بعض الجامعات التايلاندية وبعض المساجد، وعقد الندوات الإسلامية في بعض منازل المسلمين في بانكوك وبعض ضواحيها، كما كان يكتب مقالات دينية ينشرها في بعض المجلات ويدرس في بعض المدارس الإسلامية في بانكوك، ولجأ أصحاب النفوس الضعيفة من الحاقدين إلى تشويه الدعوة واتهام دعاتها بشتى الاتهامات.

ويحدثنا الأستاذ إسماعيل أحمد عن بعض البدع التي انغمس فيها بعض المسلمين نتيجة لجهلهم فيذكر اشتراك بعضهم مع البوذيين في المراسم البوذية، وابتداعهم الاحتفالات مثل المولد النبوي ويوم عاشوراء، وإقامتهم لولائم مثل وليمة يوم السابع ويوم الأربعين ويوم الثمانين لوفاة فلان وفلان، وتركهم الصلاة، وإهمال العبادات، كما أن بعضهم كان يصلي مرة في الأسبوع، الجمعة فقط، وبعضهم يصلي مرتين في السنة، وهما صلاة عيد الفطر وعيد الأضحى.. وقد زينوا صلاتهم بالبدع والخرافات ويرفعون أصواتهم المزعجة بالتهليل والتكبير ويهزون رؤوسهم وأبدانهم ويعتقدون أن هذه الحركات جزء من الصلاة. ويقول الأستاذ إسماعيل أحمد: المهم لما دعوناهم إلى نبذ تلك البدع والخرافات «ردوا علينا بأن دعوتنا وهابية ونحن منتسبون إلى مذهب جديد فقاطعونا بكل الطرق.. ولا تكاد تخلو كل قرية في تايلاند منذ ٣٠ سنة ماضية من شجرة أو حجر أو ولي يتبركون به ويحتفلون لأجله ويقدسونه تقديسا، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا»⁽⁵⁾.

ويقول الأستاذ إسماعيل أحمد إن الحكومة التايلاندية كانت تفهم أن أهل الكتاب والسنة السائرين على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هم من نفس جماعة البدع والخرافات التابعين لشيخ الإسلام (هناك بالطبع) وقد أدركت الحكومة في الآونة الأخيرة أن هذه الجماعة تعارض شيخ الإسلام بتايلاند في آرائه وإدارته. ويلاحظ الباحث أن المدارس الإسلامية في الجنوب تكاد تكون كلها تحت إدارة أهل البدع والخرافات التابعين لآراء رئيسهم الأكبر شيخ الإسلام، والقلة الباقية فقط في أيدي أهل الكتاب والسنة.

ويقول الأستاذ إسماعيل أحمد إنه لما أنشأ مدرسة أنصار السنة التي أشرنا إليها قبلا حدث أن بعض المدرسين من ماليزيا وبعضهم من أصل كمبودي جاءوا إليهم للدراسة وساعدوهم في التدريس كذلك. ولما رجعوا إلى كمبوديا في عام ١٩٥٢م واصلوا الدعوة إلى الكتاب والسنة على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأسسوا مدارس إسلامية عديدة

هناك في عهد الأمير نرودوم سيهانوك وفي عهد حكومة لنول، بدأت الدعوة الإسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب تنتشر في كمبوديا. ولما تمكنت السلطة الشيوعية من السيطرة على الهند الصينية في عام ١٩٧٦م، أبادت كثيرا من المسلمين واغتالت زعماءهم ومنهم بعض الأساتذة المذكورين الذين كانوا قد بذلوا النفس والنفيس في سبيل الدعوة الإسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب(٦) على أن مدرسة أنصار السنة هذه كانت أول مدرسة إسلامية في تايلاند قاطبة، وتدرس العلوم الإسلامية لأبناء المسلمين من جميع أنحاء البلاد من الخارج مثل ماليزيا واندونيسيا. . كما كانت ترسل بعض الأساتذة والطلاب إلى بعض المناطق في تايلاند. و يدعون المسلمين إلى إخلاص العبادة لله وحده، ويرشدونهم إلى الدين الحنيف ويطلبون منهم ترك عبادة الأوثان ونبذ التبرك بالأشجار والأحجار والأولياء. .

ويقول بأن أعداء الدعوة الإسلامية في تايلاند قد اعتبروا هذه المدرسة وهابية، ومركزا للوهابيين(٧). وقد أغلقت المدرسة في عام ١٩٥٧م لأسباب مالية، ونقل مركز الدعوة الإسلامية من الجنوب إلى العاصمة ولكن بصورة أخرى وهي الدعوة عن طريق الإذاعة والمجلات و إقامة الندوات الدينية في بعض المساجد وبعض المنازل.

وقام الأستاذ بالدعوة الإسلامية في بانكوك عن طريق الإذاعة لعدة سنوات ثم توقفت لأسباب مالية أيضا. . وفي العاصمة أصدرت مجلة إسلامية شهرية هي «الجهاد» وصلت عام ١٣٩٩هـ إلى العدد ١٢٣ للسنة الخامسة عشرة، وكانت هذه المجلة وقت كتابة النشرة إخبارية إسلامية مرتين كل شهر باللغة التايلاندية توزع مجانا هذا بالإضافة إلى نشاط الترجمة والتأليف وعد الكاتب نحواً من أربعة وثلاثين كتابا إسلاميا، كتبها أساتذة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي تمت ترجمتها إلى اللغة التايلاندية(٨).

ويفكر تلاميذ مدرسة أنصار السنة في فاكسفجون في إحياء المدرسة ومركز الدعوة الإسلامية من جنوب تايلاند.

ويذكر لنا الأستاذ إسماعيل أحمد في بحثه هذا أن أول من أدخل الدعوة السلفية في بانكوك هو شاب مثقف من أندونيسيا اسمه الأستاذ أحمد وهاب وذلك في عام ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م، وأخذ ينشر الدعوة تدريجيا. وأسس جمعية الإصلاح. وفي بانكوك

أصدر مجلة اسمها «البداية» تحارب البدع والخرافات دون هوادة ومنذ ذلك الوقت ظهرت في بانكوك كلمة وهابية، كما سموا التابعين لهذا المنهج الوهابيين. ولما كان تلاميذ الأستاذ أحمد وهاب، لهم نشاطات في الدعوة الإسلامية والسائرون على نفس المنهج قد انتقلوا إلى رحمة الله، فإن جمعية الإصلاح تعاني نقصا في الرجال؛ ولهذا هبطت نشاطاتها هبوطا ملحوظاً فهي تصدر الآن كتابا واحدا في السنة. وقيل إن الأستاذ أحمد وهاب كان يراسل الشيخ رشيد رضا في مصر، ويلاحظ الأستاذ إسماعيل أن هذه الحركة الوهابية في بانكوك لم تصل إلى جنوب تايلاند حيث الشعب المسلم(٩).

فإذا انتقلنا إلى مكان آخر هو أندونيسيا لنرى تأثر الدعوات الإصلاحية فيها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا هو موضوع بحث الأستاذ نجيح عبد الله، وهو أندونيسي من بلدة قرشيك، فإنا نجد بعض المعلومات القيمة التي تضيف الكثير إلى ما تحت أيدينا من مصادر فنحن مثلا قد عرفنا بعض الجمعيات الدينية التي قامت فيها على أساس سلفي مثل جمعية محمدية جاكرتا عاصمة أندونيسيا، ومثل جمعية الإصلاح والإرشاد التي كانت تضم بعض أبناء العرب في أندونيسيا والتي أسسها الشيخ أحمد السوداني في جاكرتا(١٠) ويعرفنا الأستاذ نجيح(١١) بجمعية البالماني سنة ١٩٢٣م، ويذكر أن الشيخ الأستاذ أحمد حسن كان اسما بارزا فيها، وقد أخذ في دعوته أسلوبا قريبا من أسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حيث الصراحة وعدم المداهنة. فكان يحارب الشرك والبدع والمنكرات ويدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المذهبي بلسانه الحاد وقلمه الصارم. له مؤلفات كثيرة منها: «كتاب الأسئلة والأجوبة» وهو كتاب يحتوي على فتاواه الدينية وغيرها. وأصدرت تحت رئاسة مجلة «المدافع عن الإسلام» التي كانت لها آثارها الكبيرة في توجيه آراء الشبان المسلمين. ولا سيما المثقفين منهم، وله تلاميذ أجلاء تفقهوا في الدين عنده، منهم الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق. وأحد أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

وللجمعية عدة مؤسسات منها معهد ديني في مدينة بانجيل بجاوا الشرقية. ويضيف الأستاذ نجيح عبد الله فيقول(١٢) بأن هناك مؤسسات أخرى منتشرة في أنحاء البلاد لها أهمية كبيرة في بث الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية.

ويذكر من هذه المؤسسات على سبيل المثال «المدرسة الأميرية الإسلامية» والمدرسة السعودية «في جزيرة سولاويسي» و«المدرسة الإسلامية السلطانية» التي كانت تحت إدارة الشيخ الحاج محمد باشوتي عمران في سمباسي بكالمنتان و«مدرسة المعلمين» التي أقامها الأستاذ الحاج عبد الرحمن في أمونتاي «والمدرسة الوطنية الإسلامية» في جاوا الوسطى، ومعهد مسكومبان الإسلامي في قرشيك. ويقول الأستاذ نجيح في بحثه (١٣)عن هذا الأخير «إن القائمين بالتدريس في المعهد كانوا من أشد أعداء الدعوة القائلين بأن الطائفة الوهابية طائفة منحرفة عن الدين، وخارجة على أهل السنة والجماعة وقائلة بتضليل من عداها من المسلمين، وأنها لا تحب الرسول ﷺ، وتحقر شئون الأولياء وشعائر الدين، وغير ذلك من الأكاذيب والافتراءات.. ثم تغيرت الأحوال بعد رجوع الشيخ عمار فقيه أحد أولاد شيخ المعهد الأسبق من أداء فريضة الحج سنة ١٩٢٨م، والذي اتصل بعلماء الدعوة مدة إقامته في بلد الله الحرام، وتلقى منهم حقيقة الدعوة ومبادئها، حتى أدرك مدى ما للدعاية ضد الدعوة من مفتريات وأكاذيب وأيقن أن معظم العلماء الأندونيسيين كانوا ضحايا أكاذيب المفترين. فلما أبدى آراءه على ملأ قام النزاع والجدال بينه وبين العلماء الذين ما زالوا على فكرتهم الأولى، واشتدت وطأة المنازعة والمجادلة حتى انتهى الأمر بتغلب دعوته وانتشار آرائه وكثرة أتباعه.. وصار المعهد مركزا لنشر الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية في تلك المنطقة.. ثم بعد انتقاله إلى جوار بارئه الرحيم سنة ١٩٦٥م خلفه الأستاذ نجيح أحيد، صهر الشيخ وأحد تلاميذه.

وفي عهد مدير المعهد الحالي قرر فيه تدريس كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى جانب الكتب التي تكون على منواله».

ونطالع في بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بحثا للدكتور محمد السعيد جمال الدين عنوانه «دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال» وكاتب هذا البحث يجيد اللغة الأردية، ومن ثم طالع كتابات محمد إقبال في لغتها وبخاصة بعض دواوين شعره الذي كان يحرك الشعور، ويهز الوجدان في أنحاء العالم الإسلامي..

ولسنا الآن بصدد تقويم لفكر إقبال وأثره على شبه القارة الهندية بخاصة والعالم

الإسلامي بعامة لأننا بصدد موضوع معين هو مدى تأثر إقبال في فكره ووجدانه بدعوة الشيخ».

هنا يقول الباحث الدكتور محمد السعيد جمال الدين(١٤): لا شك أن إقبالا كان معجبا - إلى حد بعيد - بشخصية الشيخ وجهوده الذاتية التي لم تعرف الكلل في سبيل إصلاح الدين وتطهيره من شوائب البدع والخرافات والوثنيات التي دخلت عليه. . وقد عبر إقبال عن إعجابه بالشيخ وبدعوته عندما وصفه بقوله «المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب» لقد جاء هذا الوصف في كتابه «تجديد الفكر الديني في الإسلام». .

كانت هذه الدعوة قد لقيت في الهند حربا ضروسا لا هوادة فيها، حتى إن كل من رفع يديه في صلاة أو جهر بآمين كان معرضا لأشد أنواع الأذى لأنه «وهابي» وكان مصير من يتهم من مسلمي الهنود بأنه وهابي أن ينفى ويشرد ويقتل (انظر تعليمات عبد العظيم البسوي على كتاب محمد بن عبد الوهاب لمسعود الندوي طبع مكة المكرمة سنة ١٣٩٧هـ من ص ٢١١) ولكن برغم ذلك نص جماعة من العلماء يبصرون الناس بحقيقة هذه الدعوة ويدعونهم إلى التوحيد الحق وإلى نبذ البدع والضلال. . وقبل أن ينشر إقبال كتابه «تجديد التفكير الديني» ببضع سنين. . كتب اثنان من كبار علماء المسلمين في الهند ممن كانوا على صلة وثيقة بإقبال مواد في التعريف بالشيخ ودعوته، ونعني بهما (السيد سليمان الندوي) الذي نشر عن هذا الموضوع مقالا في مجلة «معارف» الأردية الواسعة الانتشار سنة ١٩٢٤م، والحافظ أسلم جيرا جبوري الذي نشر كتابا يتسم بالاختصار والوضوح بعنوان «تاريخ نجد» (انظر التحليل القيم لمصادر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه، لمسعود الندوي، طبع مكة المكرمة ١٣٩٧هـ ص ٢٢٧ وما بعدها).

ولا ريب في أن إقبالا قرأ هذه الكتب التي كتبت كلها بلغته الوطنية، وألفها علماء كان بعضهم على صلة وطيدة به، فتأثر بها، وبدا هذا التأثر واضحا في كتاباته وأشعاره. ولم يكن علماء المسلمين في الهند وحدهم هم الذين عرفوا إقبالا على حقيقة «حركة الإصلاح الديني التي قامت على يد «المصلح العظيم محمد بن عبد الوهاب» بل كان لأستاذه المستشرق «توماس أرنولد» صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» بعض الفضل في توجيهه

هذه الوجهة(١٥) فالقارىء لكتاب أرنولد يستشعر الاحترام والتقدير الذي كان يكنه ذلك الرجل لدعوة الشيخ الإصلاحية. تلك الدعوة التي أخذ أرنولد يتتبع انتشارها وتأثيراتها المباشرة على الحركات الإصلاحية في كل من البنغال وسومطرة وأفريقيا السوداء(١٦).

وكانت هذه المصادر الأردية والفارسية والإنجليزية هي المتاحة أمام محمد إقبال عندما أراد أن يتعرف على دعوة الشيخ ويكتب عنها..»..

لقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة بسيطة خالية من التعقيد حجر الزاوية فيها دعوة التوحيد وشعارها «لا إله إلا الله».. من هذا المحور الفكري والعقائدي، ومن تلك الحساسية الشديدة تجاه كل ما يصرف الإنسان عن الله وحده(١٧) استمد إقبال في أشعاره الكثير من المواقف والمشاهد، وتوسع في دعوة التوحيد، واستنبط مفاهيم جديدة من كلمة الشهادة «لا إله إلا الله» وهذه المواقف والمشاهد شائعة في دواوينه وأشعاره.

وإقبال قد قرأ دعوة الشيخ كما قرأ ما كتبه شيوخ الإسلام من المصلحين والمجددين السابقين. ولذلك يصعب على الباحث أن يحدد مصادر هذه المؤثرات: أمِن دعوة الشيخ جاءت أم أن هذه المؤثرات أتت مباشرة من الأصول والفروع والمبادىء الإسلامية (التي هي أصل هذه الدعوة وفحواها)؟

لكننا لا نستطيع في نفس الوقت أن نقول إنه لم يتأثر تأثراً مباشراً بدعوة الشيخ بعد أن قرأها واستوعبها.. لقد ورد في شعر إقبال ما يفيد تأثره بهذا الجانب اللصيق بدعوة الشيخ؛ فإقبال ينعى على المشايخ القائمين على هذه الأضرحة والقبور ويعزو إليهم السبب في تشجيع عوام المسلمين على زيارة الأضرحة ودعاء أصحابها والاستشفاع بهم. ويقول إنهم يستغلون سذاجة هؤلاء العامة أسوأ استغلال فينصبون لهم الفخاخ بإقامة الموالد وصناديق النذور(١٨).

وثمة بحث من بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب قام به الدكتور عبد الحليم عويس وجعل له عنوانا هو أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، والباحث قد عاش فترة في الجزائر وفي هذا البحث رجع بأصول الدعوة السلفية في الجزائر ـ إلى الفقيه الجزائري أبي الفضل النحوي وهو من علماء القرن الخامس

الهجري، ثم المصلح أبو الحسن علي بن عبد الحق الزويلي الشهير بالصغير الذي دعا إلى فتح باب الاجتهاد متأثراً ـ فيما يبدو ـ بمعاصرة الإمام ابن تيمية(١٩).

وخلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة اتخذت الدعوة السلفية قاعدتها بنواحي بجاية في الشرق الجزائري. وكانت قرية (تامقرة) المنطلق الأساسي للدعوة إذ كانت هذه القرية تضم منارة جزائرية عالية المكانة وهي: (معهد يحيى العبدلي) ومن هذا المعهد ينبع العالم السلفي (أحمد زورق) بما شاهده من شيوع فوضى العقيدة التي أدخلها العوام وركب موجتها المشعوذون من محترفي الصوفية (٢٠). وبدوره ترك تأثيره على أسرة جزائرية اشتهرت معظمها بالسلفية وهي أسرة الأخضري التي نبغ فيها عالم سلفي جليل هو (عبد الرحمن الأخضري) المتوفى سنة «٩٥٣هـ»

وعلى خطى (الأخضري) ظهر علماء آخرون عززوا الاتجاه السلفي، وذلك خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، ثم كان أول من حمل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الجزائر المؤرخ الجزائري (أبو راس الناصري) الذي عرف كثيرا عن الدعوة خلال أدائه فريضة الحج.

أشاد المؤرخ (أبو راس) بآراء محمد بن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عودته إلى الجزائر. والحق أنه بعد (أبي راس) كان من الممكن أن تنفذ حركة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب إلى الجزائر في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة من طرق أقوى وأفسح مجالا.. إلا أن تطور الظروف على النحو الذي أدى إلى وقوع الجزائر تحت قبضة الاحتلال الفرنسي سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) حال دون ذلك (٢١) ومع ذلك فنحن لم نعدم أن نجد في الجزائر ـ خلال القرن الثالث عشر ـ علماء سلفيين بالرغم من كل الظروف التي وقعت تحتها إشعاعات سلفية نفذت إما عن طريق الاتصال بمدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة مباشرة. وإما عن طريق تأثير الدعوة السنوسية الجزائرية الأصل والقريبة من الحدود، وإما عن طريق الجامعة الزيتونية التي تعلم فيها كثير من الجزائريين..

كما ظهر بقسنطينة أيضا العالم السلفي الشهير (صالح بن مهنا) الذي كان قد تخرج من الزيتونة والأزهر وكتب رسالة يهاجم فيها شيوخ الطرق الذين يسميهم الناس

الأشراف(٢٢) وباستسلام الأمير عبد القادر الجزائري بعد مقاومة للاحتلال الفرنسي استمرت سبعة عشر عاما. سلطت فرنسا على الجزائر المسلمة قوافل (المتصوفة) ينشرون البدع والخرافات ويحاربون كل بادرة وعي إسلامي صحيح. . وبدا من خلال هذه الأسوار العالية المحكمة أن إسلامية الجزائر وعروبتها في محنة شديدة. . إلا أن طريق الحج كان واحدا من أهم الطرق التي عبرت من خلالها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الجزائر متخطية تلك الأسوار القوية التي أقامها الاستعمار الفرنسي(٢٣) والطريق الثاني هو الشعور الإسلامي الواحد وهو أقوى جسر تعبر عليه كل موجات الإصلاح الإسلامي الحقيقي، وعليه عبرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية إلى بلدان العالم الإسلامي واخترقت أسوار الاستعمار والطريق الثالث هو المدرسة الأفغانية متمثلة في مجلة العروة الوثقى ثم مجلة المنار، وكان الذود عن حياض دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واضحاً فيهما ولا سيما في المنار التي استطاعت أن تدخل إلى الجزائر وإلى بقية بلدان الشمال الإفريقي منذ سنتها الأولى، حتى إنه في سنتها الخامسة ذكر أحد القراء في تونس أن العدد الواحد من مجلة المنار يدار على عشرات الناس في البيوت(٢٥).

أما عن دور الشيخ عبد الحميد بن باديس إمام جمعية العلماء ومؤسسها، وكذلك عن الشيخ (البشير الإبراهيمي) فقد أفاضت فيه كثير من المراجع. . وربما لن نأتي بجديد هنا لبيان تأثير الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه بمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب إما تأثرا مباشرا وإمّا غير مباشر، ومنها مثلا أن الشيخ ابن باديس وجمعية العلماء تعمل على إصلاح عقيدة الجزائريين بمقاومة الخرافات والبدع، كما كانت تعمل على مقاومة الصوفية والمبتدعة وكانت أيضا تدعو إلى الرجوع إلى القرآن والسنة. كما كانت تعمل على محاربة الجمود الفكري، ويرى الدكتور عبد الحليم عويس في بحثه هذا أن الأمر في التشابه لم يقتصر على جانب الاتفاق في الركائز المشار إليها آنفا بل هناك كذلك اتفاق في الكتابة موضوعا ومنهجا وأسلوبا(٢٦) ويقصد الدكتور بذلك «المنهج القرآني» ويقول في ختام بحثه «فإن ابن باديس كان على منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب - يؤمن إيمانا لا حدود له بدور القرآن الكريم في تكوين الجيل المنشود على غرار الجيل الذي كونه القرآن في العصور الأولى للإسلام»(٢٧).

ثم كان هناك بحثان في أسبوع الشيخ يعالجان «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

في غرب أفريقيا» أحدهما بهذا العنوان نفسه للأستاذ عبدالفتاح الغنيمي والآخر تحت عنوان «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودى الإصلاحية في غرب أفريقيا» للدكتور مصطفى مسعد. وكلا البحثين ركزا على تأثر حركة عثمان بن فودى بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وركز البحث الأول منهما على اصطدام حركة الشيخ عثمان بدولة برنو مع أن أهلها كانوا مسلمين إلا أن البدع والخرافات كانت منتشرة بينهم.

ويرى الأستاذ الغنيمي أنه لولا مقتل الماهر المختار قائد جيش الفولاني لتغير الوجه التاريخي لمنطقة غرب افريقيا(٢٨) كما يرى أن لحركة عثمان بن فودى أثراً عظيماً في نشر اللغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غرب أفريقيا إذْ أضحت اللغة العربية لغة المراسم والمكاتبات والدواوين والمعاملات والتجارة. كما عدد صاحب هذا البحث المؤلفات التي تركها الشيخ عثمان بن فودى وأخوه عبد الله بن فودى وابنه محمد بللو باللغة العربية (٢٩).

أما بحث الدكتور وهبه الزحيلي فقد آثر ألا يركز على منطقة بعينها بل راح يتعقب ويتتبع ليرى إلى أين وصلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شرقا وغربا (٣٠): أثرها في الجزيرة العربية، أثرها في الهند، أثرها في سومطرة، أثرها في تونس، أثرها في ليبيا (الدعوة السنوسية) أثرها في زنجبار وأفريقيا، أثرها في السودان، شمال السودان (الدعوة المهدية) أثرها في مصر (الشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية)، أثرها في الشام (جمال الدين القاسمي وغيره) أثرها في العراق (آل الألوسي)، أثرها في تركيا (مدحت باشا) أثرها في اليمن (الشوكاني) أثرها في عقلية المثقف. . وهكذا. . فإن ما ذكره الدكتور وهبه الزحيلي في خاتمة بحثه من أن المثقف العادي المتدين وغير المتدين يتجاوب مع مبادىء الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنها مبادىء الفطرة الإسلامية النقية هو أمر جميل حقا. .

وبعد فلعلنا وفقنا أن نوضح هنا ـ من خلال هذه البحوث التي تعرضنا لها شيئا جديدا ومفيدا في موضوع انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سائر أنحاء العالم الإسلامي. . والله وحده هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

●●●

الهوامش

(١) هو كتاب «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية» للباحث محمد كمال جمعة، ، الرياض ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الجزء الثاني، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

(٣) إسماعيل أحمد، تأثر الدعوات . . ، بحوث أسبوع الشيخ، ص ٣٧١ إلى ص ٣٨٩.

(٤) إسماعيل أحمد ، تأثر الدعوات . . مرجع سابق ص ٣٧٥

(٥) إسماعيل أحمد، تأثر الدعوات . . مرجع سابق ص ٣٧٨.

(٦) إسماعيل أحمد، تأثر الدعوات . . مرجع سابق ص ٣٨٠، ٣٨١

(٧) إسماعيل أحمد، تأثر الدعوات . . مرجع سابق ص ٣٨٢.

(٨) إسماعيل أحمد، تأثر الدعوات . . مرجع سابق ص ٣٨٣، ٣٨٤.

(٩) انظر إسماعيل أحمد، تأثر الدعوات . . مرجع سابق ص ٣٨٥، ٣٨٦.

(١٠) انظر محمد كمال، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية مرجع سابق ص ٢٠٢، ٢٠٦.

(١١) نجيح عبدالله، تأثر الدعوات الإصلاحية في أندونيسيا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحوث أسبوع الشيخ . . . الجزء الثاني، مرجع سابق ص ٤٠٠.

(١٢) نجيح عبدالله، تأثر الدعوات الإصلاحية مرجع سابق ص ٤٠١.

(١٣) نجيح عبدالله، تأثر الدعوات الإصلاحية . . مرجع سابق ٤٠١، ٤٠٢.

(١٤) د. محمد السعيد جمال الدين، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال، مركز البحوث، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الجزء الثاني، ١٤٠٣ هـ ص ٤٥٠

(١٥) د. محمد السعيد جمال الدين، دعوة الشيخ . . مرجع سابق ص ٤٥٢

(١٦) انظر توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن و إبراهيم وآخرين طبع مصر ١٩٤٧م . .

(١٧) د. محمد السعيد جمال الدين، دعوة الشيخ . . مرجع سابق ص ٤٥٣ .

(١٨) د. محمد السعيد جمال الدين، دعوة الشيخ . . مرجع سابق ص ٤٥٩، ٤٦٠ .

(١٩) الدكتور عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الجزء الثاني ١٤٠٣ هـ ص ٤٧٥ .

(٢٠) د. عبد الحليم عويس، أثر. . المرجع السابق ص ٤٧٦ .

(٢١) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٤٨٠ .

(٢٢) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٤٨١ .

(٢٣) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٤٨٤ .

(٢٤) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٤٨٥ .

(٢٥) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٤٨٦ .

(٢٦) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٤٨٩ ـ ٤٩٨ .

(٢٧) د . عبد الحليم عويس، أثر . . مرجع سابق ص ٥٠٣ .

(٢٨) عبد الفتاح الغنيمي، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا، مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الجزء الثاني ٤٠٣هـ ص ٣٦٢ .

(٢٩) عبد الفتاح الغنيمي، أثر . . المرجع السابق ص ٣٦٥، ٣٦٦

(٣٠) د. وهبة الزحيلي، تأثر الدعوات . . مرجع سابق من ص ٣١٩ إلى ص ٣٣٨ .